Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأى عبد القاهر الجرجانى :

أما عبد القاهر فقد تواصل مع معطيات النص بخبرته الجمالية والفنية، وأعانه الذوق البلاغى على النفوذ إلى أسراره وإيحاءاته المتعددة. ولم يعول شيخ البلاغة فى قراءة النص على جبرية المقياس الذى يلوى أعناق النصوص تبعا لهوى الناقد أو خضوعا لنزعاته الفكرية، ولكنه عرف كيف يستنطق العبارة، ويستدر حلابها؛ لتجود بأحسن ما فيها، وتفصح عن مكنون سرها، فتراه يقول : «إن أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر، أنه قال : (ولما قضينا من منى كل حاجة) فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها، والخروج من فروضها وسنتها، من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبّه بقوله : (ومسح بالأركان من هو ماسح) على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر؛ ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر، ثم قال : (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا) فوصل بذكر مسح الأركان ماوليه من زم الركاب وركوب الركبان، ثم دل بلقطة الأطراف على الصفة التى يختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث، أو ماهو عادة المتطرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء، وأتبأ بذلك عن طيب النفوس، وقوة النشاط، وفضل الاغتباط، كما توجبه ألفة الأصحاب، وأنسة الأحباب، وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب، وتنسم روائح الأحبة والأوطان، واستماع التهانى والتحايا من الخلان والإخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه، وأفاد كثيرا من الفوائد يلطف الوحى والتنبيه... إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح، وكان فى ذلك ما يؤكد ما قبله، لأن الظهور إذا كانت وطيئة، وكان سيرها السير السهل السريع، زاد ذلك فى نشاط الركبان، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا، ثم قال (بأعناق المطى) ولم يقل بالمطىّ لأن السرعة والبطء يظهران غالبا فى أعناقها..»[1].

إن منهج عبد القاهر فى التعامل مع لغة النص ومعطياته منهج متنوع، قوامه التفسير والتحليل وحسن التعليل. وفيه جمع بين دراسة النفس، والبيئة من خلال

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٦، ١٧ طبعة رشيد رضا - بيروت.